

أضواء البيان

@ 299 @ بالباطل وكذبوه ، أن يقول لهم : ا[] أعلم بما تعملون . .
وهذا القول الذي أمر به تهديد لهم فقد تضمنت هذه الآية أمرين : .
أحدهما : أمر الرسول صلى ا[] عليه وسلم أن يهددهم بقوله : ا[] أعلم بما تعملون : أي من
الكفر ، فمجازيكم عليه أشد الجزاء . .

الثاني : الإعراض عنهم ، وقد أشار تعالى للأمرين اللذين تضمنتهما هذه الآية في غير هذا
الموضع . .

أما إعراضه عنهم عند تكذيبهم له بالجدال الباطل فمن المواضع التي أشير له فيها قوله
تعالى { وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَن تَتْمُمُ بِرِئْتُونَ
مِمَّا آءَمَلْتُمْ وَأَنْزَاكُمْ بِرِءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } . .
وأما تهديدهم فقد أشار له في مواضع كقوله { هُوَ أَهْلًاكُمْ بِمَا تُفْسِدُونَ فِيهِ
كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيِّنِي وَبَيِّنَكُمْ } وقوله { وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ
رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ } فقوله { وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ } فيه أشد الوعيد للمكذبين ، كما قال
{ وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ } في مواضع متعددة ، وهم إنما يكذبونه بالجدال
، والخصام بالباطل . وقد أمره ا[] في غير هذا الموضع أن يجادلهم بالتي هي أحسن وذلك في
قوله { وَجَادِلْهُمْ بِلَاَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } وقوله { وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } وبين له أنهم لا يأتونه بمثل ليحتجوا عليه
به بالباطل ، إلا جاءه ا[] بالحق الذي يدمغ ذلك الباطل ، مع كونه أحسن تفسيراً وكشفاً
وإيضاحاً للحقائق وذلك في قوله { وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ
بِلَا حَقٍّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } . .

قوله تعالى : { مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } . أي : ما عظموه حتى عظمته
حين عبدوا معه من لا يقدر على خلق ذباب ، وهو عاجز أن يسترد من الذباب ما سلبه الذباب
منه ، كالطيب الذي يجعلونه على أصنامهم ، إن سلبها الذباب منه شيئاً لا تقدر على
استنقاذه منه ، وكونهم لم يعظموا ا[] حق عظمته ، ولم يعرفوه حق معرفته ، حيث عبدوا معه
من لا يقدر على جلب نفع ، ولا دفع ضرر . ذكره تعالى في غير هذا الموضع كقوله في الأنعام {
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا
بَشَرًا مِّنْ شَدِيدٍ } وكقوله في الزمر { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

